

نماذج من الشعر النوبوي الإسلامي

الدكتور يعقوب عبد الله

المقدمة:

لكل قوم عادات وتقاليد يُعرفون بها، ويفتخرون بها، وتتأثر بالعوامل والمؤثرات. ويُعد أدب القوم من موروثاتهم الذي يَأثر ويتأثر بغيره. وقد لوحظ تأثير الإسلام ولغته المجيدة في آداب الشعوب الإسلامية في أنحاء العالم في الفترات المختلفة وفي الجوانب المتعددة. ففي هذه البلاد يلمح تأثير الإسلام في الأدب الهوسوي والفلاني واليربوي كما يلمح في الأدب النوبوي. وقد أدى هذا التأثير إلى نشأة فنون أدبية لم تكن موجودة في الأدب القومي قبل الإسلام، والشعر النوبوي الإسلامي نموذج حي لما ينعكس فيه التأثير الإسلامي نشأة وتطوراً. فهذا البحث يسعى إلى دراسة الشعر النوبوي الإسلامي، يقف على نشأته ونماذج من إنتاجات الشعراء البارزين فيه، وهم الشيخ عبد الرحمن، ومَنْ شُكِّفَا. والحاج إدريس، وإبراز الملامح الإسلامية وتقييد الخصائص الفنية :

الأمة النوبوية:

تسكن الأمة النوبوية جنوب شمال نيجيريا، وعلى وجه التحديد تسكن ضفاف نهر نيجر. ويعد لغتها من أشهر اللغات في نيجيريا. اعتنقت هذه الأمة الإسلام منذ القرن الحادي عشر الميلادي. القرن الذي وصل الإسلام فيه إلى بلاد الهوسا¹. وقد اشتهر من بينهم العلماء المتعمقون في العلوم الإسلامية والعربية، وأثر الإسلام في حياتهم وتقاليدهم.

نشأة الشعر النوبوي الإسلامي:

يعتبر الإسلام واللغة العربية عاملين أساسيين ساعدا في نشأة الشعر النوبوي الإسلامي، وذلك بعد أن تعلم العلماء النبويون اللغة العربية وخاصة الشعر العربي. وأدركوا ما للشعر من التأثير في النفوس وإلهاب المشاعر والأحاسيس، فعمدوا إلى نظم

الشعر النوبوي الإسلامي بالحرف العربي للدعوة إلى الله وإصلاح المجتمع متأثرين بالشعر العربي في بحوره وتركيب بيته وقافيته.²

يصعب تحديد الفترة التي بدأت فيها هذه المحاولة الشعرية، لكن لكون الشعر جديد في أدب القوم ومتقيد بحمل الرسالة الإسلامية يرجح القول على أنه بعدما انتشر التعليم الإسلامي والعربي في المجتمع النوبوي. ومن العلماء الذين شجروا الفن الشعري على أيديهم الشيخ عبد الرحمن الذي كان يجعل وعظه ارتجالاً في المناسبات الوعظية والملتقيات.³

هذا ولم يكن الشعر النبوي الإسلامي جديداً في هذا الميدان، فقد سبقته مجهولات مماثلة في آداب الشعوب الإسلامية في العالم الإسلامي، حيث نشأ شعر إسلامي في الهند والترك والصومالي،⁴ مثلما نبع في الأدب الهوسوي والبريوي والفلاني في وكلاهما تتميز بالتصورات الإسلامية والإبداعات الفنية.

نماذج من الشعر النوبوي الإسلامي:

التعريف بالشيخ عبد الرحمن:

هو الشيخ عبد الرحمن، وكان والده محمد عالماً كبيراً وداعية إسلامية. الشيخ عبد الرحمن القرآن الكريم وحفظه، ثم طاف بعلماء بلاد نوبي لأخذ العربية والإسلامية. وتصدر للوعظ والإرشاد وهو في الثانية عشر من عمره اتخذ الشيخ عبد الرحمن الأسواق والطرق مقراً لوعظه. وكان يفرس خلال الوعظ باللغة النوبوية، يلتهمها الناس ويسرون بها، وقد اشتهرت نتاجها كبراً، منها هذه القصيدة.

قصيدة "نمياً" للشيخ عبد الرحمن:

يَاغِي ثَانَا رَدُو صُقُو بِي غُنِيمِ	بِي فَعَا دِي ثُو فِي صُقُو ثُو عَظِيمِ
عبد الرحمن غِبَا جِي اِغْ محمد	رَى وَغَفَا زَا بِي صُقُو بِي رَحِيمِ
إِثُو نَغَا جِ وَجْ أَثْ جِيْنِ وَغِي صُقُو	إِثُونَا غِيَا ذَا يَا وَرَدَى نَا إِثُو كَرِيمِ
وُوجْ أَلَجْ طُو دَجْ طُو يَكْنِغِ	طُو يَشِي طُو يَذِي طُو فِجْ طُو كِيمِ
ثُو ثِي طُو طْ يَرِيو بُو مُحَمَّماً	بِي طْ يَزُو غُضُو غُفُو بِي نَعِيمِ

أولَ طُوطُ مِيرُئَمَ بَدَيَ يَـوَا
بِى ذَ صُفُو أَيْمًا وُيُو طُودَ تُوْثِي
ذَنكَافَا صُفُونَا كَادَ نَعِيمِ
يَكَافِرِيحَ يَبُوْثِي جَ هَابَ صُفُو
مُوجَ غِيْثِيحَ إِكْغُو بِمَا غُغِي
كَئِيثَا هَارِيحَ مَجُوْثِي تَفُؤُوا
كَائِنَا طُو وَتِيحَ عِيُو مُوجُوا
ذَانِكَاغَ حَرَامَ نَا عَنَ كُفُو يَكَايْكََا
وَنَ لِيْمُو لَغَا ضُو مُوجَ جِينَا
كَائِنَا إِيْغُوْجَ بِى وَجُوْجَ
طُو ضُو كُجِي يَمِيْجَ يَنَ بُو دَوَا
يَغِيْمَجَ إِكَايْذَا غَدُوْجِيْمَ غُوْغِي
وَنَرِي يَذَ غَدُجِنَا شِي تَفُؤُوا
بَانْئِذَ غَدُجِيْنَ طُوفُو صُفُو بُوَا
المعنى:

يحمد الله حفيد ثانيا
أنا عبد الرحمن بن باجث بن محمد
الله صانع كل صنعة
وخالق الليل والنهار والسماء والأرض
نسألك الله الجواد الوهاب
أجب دعاءنا بجاه الرسول محمد
نسألك فأنت الأول بجاه محمد
أن تعمننا بأنعامك في الدنيا
أنت الأول فكن لنا
وارزقنا خشيتك يا كريم

بِى ئِيَا صُفُو تُوْثِي إِئُو كَرِيْم
طُودَ مَعْلَمِ جَ بِي غَبُونِيْمَ نِيْم
ذَيَنْتَفُو قَاصُفُونَا كَادَ جَحِيْمِ
هَآ رِكْسَاسُ نَاكُفُوَا تَجَحِيْمِ
وَنَغُو غُونَا كُفُونَا سُو دَانِيْمِ
عِيُو يَآوَقَا عُو سَنَاجَ هَادِيْمِ
ذَانَا غُونَا حَرَامَ وُغَ فِينِيْمِ
يُوْجَ تُوْبَا بِضَا بَصُفُو يَا سَلِيْمِ
وَبِي كَافُونَ سُو غِي يِيْمِ
إِنَقِيْنُ كَاغَ جَمْبَمَا جِي نَنِيْمِ
يُوْجَ تُوْبَا ضَبَا صُفُو يَا سَلِيْمِ
كَابُو وَجُو كَبَاغُو وَكَبَا يِيْمِ
وَلَابُو صُفُو نَاكَآ دَنَ نِيْمِ
نَاغَابَا صُفُوَا غَائِيْغَا بُو نَعِيْمِ⁶

من يطع الله ورسوله
والعلماء يفوز بالنعيم
من أطاع الله يدخل جنة النعيم
ومن عصى الله يدخل الجحيم
يا أكل مال الحرام، لا تأكله
ومن أكله يصلى النار في القيامة
استمع لتعرف مال الحرم
هو المال الذي يؤخذ عند عقد النكاح أو العقيقة
أخذ المال عند الجنابة حرام
من أكل الحرام يدخل النار
تب إلى الله السلام
من ترك زوجته لتشارك في أكل الحرام
يشاركها في النار في يوم القيامة
لا تترك أبناءك وعبيدك
أن يشاركوا في أكل الحرام
التردد إلى بيت الميت يوجب دخول النار
تب إلى الله السلام
يا إخواني لا تفضلوا إحدى الزوجات على غيرها
وإن فعلت لا ترضى الزوجة
استمع يا من يفضل إحدى الزوجات
تقترب إثما، وغدا تدخل النار
يباح التفضيل في طاعة الله
ففضل التي تطيع الله
الملاحم الإسلامية في أفكار القصيدة:

نجزم القول على أن أفكار القصيدة متسمة بالسماة الإسلامية، وتحمل في طياتها رسالة إسلامية أخلاقية، يوصلها الشاعر إلى قومه كداعية إسلامي، يعني بإصلاح أفراد المجتمع وردهم إلى الصواب والصراط السوي فيما يقومون به من العبادات والمعاملات والسلوك، لينخرطوا في الإسلام كافة كما أمر الله سبحانه وتعالى: وتتمثل الأفكار في النقاط التالية:

- 1- وجوب طاعة الله ورسوله وأولي الأمر من العلماء.
- 2- طاعة الله توجب دخول الجنة ومعصيته توجب دخول النار.
- 3- المنع من أكل مال الحرام والباطل.
- 4- تبادل النصيحة بين المتزوجين والأهل.
- 5- حرمة تفضيل إحدى الزوجات على غيرها

التعريف بمن شنكافا:

هو عبد الله بن إبراهيم، اشتهر بلقب مَنْ شَنْكَافَا ولد في بلد بارا تعلم القرآن الكريم وأتقنه، ثم أخذ يطوف على علماء بلاد نوبي حتى صار عالماً متفنناً، وقد اشتهر بالزهد والتصوّف.⁷

تخرج على يده علماء كثيرون، وكان يرسلهم إلى القرى والأرياف للدعوة الإسلامية. وللشاعر منظومات متعددة في اللغة النوبوية، أشهرها قصيدة "مَيَا" التي عمت شهرتها بلاد نوبي.⁸ سعى هذه القصيدة بلا كاذب، وهي عبارة عن كلمة أنهى بها كل بيت من أبيات القصيدة.

قصيدة "لا كاذب" لِمَنْ شَنْكَافَا:

بسم الله مَيَانِي بِي سَنَّا صُوكُو إِطُونِي
إِطُو يَغْنِي طَائِي بِيثْنِ وَوَلَا غَنِمِي بُولُو بُولُو
جُوجُو غَنَا مَكَا يَغْنَا مَجْنَرُ أَدْطَا أَفْ صُوكُو
مَجْنَرُ أَدْ ثِيَا أَقَائِي مَصْطَفِي لَا كَاذِبْ
يَغْمِرُ يَغْمِرُ كُودِي يَزِمَا إِنِّي وَوُو
مُؤْوِيَرُ أَغُوغْنِي كِي أَتِيَانَا يَغْمِرُ لَا كَاذِبْ

زابنوا بآبنا نيميزو يچ
 سنا ونغا بي كي نيميزو لا كاذب
 يعي ووي ثنايب زالي ويو باتن
 لنيز لوغا بي ثنيا وولي لا كاذب
 ووي نينگوزو نيا زالي وو كايا
 يغن يگكز مغنيو بو ووينو ثني لا كاذب
 زنا كي صوف ونيو ططا بي ونسنا
 يغن قازا وثن دنيميزو لا كاذب
 يفي لوتن نيعدي يزدا بصوكونا
 بويقي بي فايغن نيمقرو لا كاذب
 انانصوكونا نفونا ياوين لغا
 نمو غونا ونيظا يغاجنو لا كاذب
 زنا غن زنبلو ثي مطننا
 ونغادانا وما في تيع غيرو غون كي لا كاذب
 ائغما زنا غتغ ابو دسن صوكونا
 ألجنا يموو وما في مطن ابو يغن قولا كاذب
 بي في لوتن ونغي بوتيبو يغلغا
 بيثن ليفي صوكونا في ليتما لا كاذب
 اسن غان اغيكيكن سفو
 سفو بيت المقدس لا كاذب
 بي جن بوت صوكونا بي جن غودوو
 بي لظدو ون لوغا ونغاي منازوو لا كاذب
 يوا جنو دوكن دغيميزو
 يكوينا لوكانو وندي ادي لا كاذب
 يترى كيبونا بسند صوكونا

أَقِيْقًا يَغْنَعُ بُوْ غَاْمَنُوْ لَا كَاذِبْ
يَزِيْ غَقِيْ يَنَّا يَا جَنْدُوْمِيُونَا
يَاطُوْ مُحَمَّدَا ثُوْ عَثْمَان لَا كَاذِبْ
دَكِيْ طُوْ صُوْكُوْ يِيْ يَنَّا وَوْ غِيُوَانَن
وُنَغَلِيْ يُوْ مِنْ حَيْث لَا تَدْرِي لَا كَاذِبْ
زَانَعَا يَنْغِيُوْ لِيْ طَاطَى كِيْ حَرَامُ لُغَانَا
أَدِيْنُوْ غَالِيْ كِيْ لَيْلَةِ الْبَدْرِ نَا لَا كَاذِبْ
وُوْ غَاغَعَنَ وَوْ دِيْ يِكُوْ إِيْزَ نِيْغُوْ غُنُوْ
يِيْ لِيْ نِيْ يِكُوْ صُوْكُوْ غِيْ تَنْتُوْمَا لَا كَاذِبْ⁹
المعنى:

بدأت الشعر باسم الله الواحد الرؤوف
اللهم أعصمنا من الذلة وارزقنا حسن القول
أول. كلامي شهادة أن لا إله إلا الله
وأشهد أن لا رسول إلا مصطفى، ولست بكاذب
يا إخواني لا ترغبوا في الدنيا فهي زائلة
تفنى لذة الدنيا كلمحة البصر، ولست بكاذب
ستنتهي حياتك في الدنيا
واعمل بسنة الرسول، فهي الباقية، ولست بكاذب
يا أخي الناظر في عيب غيره وتنسى عيبك
أترك عيب غيرك وانظر في عيبك، ولست بكاذب
تنظر في الرمدة في عين غيرك
ولم تتفكر في الجذع الذي في عينك، ولست بكاذب
من يعلم أنه رهان للموت وسأخذه عن قريب
لا يتعلق قلبه بالدنيا، ولست بكاذب
لنعمل عملاً يجلب لنا رضى الله

ويحصل لنا به الفرح في القبر، ولست بكاذب
 لننته عما حرم الله
 ونعمل ما يريد، ولست بكاذب
 من أذنب وهو يضحك
 سيدخل النار وهو يبكي، ولست بكاذب
 لنعمل عملاً صالحاً ذخراً لأنفسنا
 ولا يغرنا معصية الله، ولست بكاذب
 سيحشرنا الله يوم القيامة مصطفين
 كصف المصلين بالبيت المقدس، ولست بكاذب
 لنعبد الله ونحمده
 ولنترك كفر نعمته، ولست بكاذب
 لننزود للأخرة من الدنيا
 إذ لا حد لطول الطريق، ولست بكاذب
 علينا بخشية الله
 سننجو حقاً بجاه ابن أمنة
 لو كنا ندوم في الدنيا
 لأدركنا محمداً وعثمان، ولست بكاذب
 توكل على الله في مطلوبك
 سيعطيك الله من حيث لا تدري
 من احتذر عن أكل الحرام
 سيخلص دينه كليلة البدر، ولست بكاذب
 إن قلت لك القدرة على الضعيف
 ستقهرك قدرة الله عن قريب
 الملامح الإسلامية في أفكار القصيدة:

تدور أفكار القصيدة حول النصيحة الغالية يسديها الشاعر إلى قومه. يدعوهم فيها إلى الاعتصام بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، والحذر من الدنيا الفانية. والتزود لدار الآخرة بالأعمال الصالحة، ومنعهم من الخوض في عيوب الناس. والابتعاد عن أكل مال الحرام، وغير ذلك من النصائح الإسلامية، واشتهرت القصيدة "بلا كاذب" شهرة مدوية لتخلص أبيات القصيدة بتلك العبارة، ومجمل الأفكار فيها هي:

- 1- الترغيب في اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- 2- التزود لدار الآخرة بصالح الأعمال.
- 3- الحذر من الخوض في عيوب الناس وتبعية العورات.
- 4- المنع من وقوع في محرمات ومنهيات.
- 5- وجوب التوكل على الله في جميع الأحوال والمطالب.

التعريف بالحاج إدريس :

هو الحاج إدريس لافياغي، كان مشهوراً لدى الناس بالتدين وحب العلم والعلماء. لم يكن هذا الشاعر عالماً متعمقاً في الدراسات العربية والإسلامية، لكنه ألزم على نفسه مصاحبة العلماء والمجاورة بهم ومصاحبهم في الأسفار والتنقلات. وقد صاحب الشيخ الحسن الكثوي في رحلاته الدعوية وتأثر به.¹⁰

كان الحاج إدريس يقول إن أشعاره لم تكن إلا ترجمان لما كان يسمع من الشيخ الحسن الكثوي من الوعظ والإرشاد.

قصيدة الوعظ للحاج إدريس:

محمد يي نُواوُو محمد يي غُنْ كَمَا محمد نُوا مَنَا يي نُواوُو غُوْرُ زُو غَ أَمَنَة.
إُو شِرِي صُفُوْنَا وُو غُوْثِي لَفَا وُزُو أَمَادِي غُوْعَا يِيْرَانَا بِيْثِنَا غَاْرَانَا شِيْشِيْنَا
جُوْكُو بُو يِفُوْرُنْدُنْدُو لَوُو شِي يَنَاعِيُوْنَا إِلَى غِيَابُو يَدَ لِيْدُرُو
يَغِيُوُو بُلُوْبُو صُفُوْثِي بِي يِيْرِي بُولُوْغِي مَا غَاْثُوْنُ سَكُنْ صُفُوْ غِيْنَكِي.
يَغِيُوُو دِيْدِي دِيْدِي صُفُوْثِي بِي يِيْرِي دِيْدِيغ مَغَاْنُ سَكُنْ صُفُوْ غِيْنَكِي.
إِغَا لُوْعُو غُوْرُ شِيْتَنُ بِأَشْي تِيْبُوْمَا

حـ رـ رـي كوما شـدري كـدو كـدو وـيو

حـ رـ رـ زغو مغا دولوا

حـ رـ رـ جن بـجو يـي لـي يـي لـوزو إندا يـرا لـي وـلاي فـونا وـغا لـي مـرـ

حـ رـ رـ حـا تـيدا يـي ذن أـئيد كـغي يـي

حـ رـ رـ صـفو مـين يـري زـوزونا دـبو سـي إـي

حـ رـ رـ نـخا يـي دـي كـو أـقالي سـري نـسونا يـنـلانا يـي بـو

حـ رـ رـ نـي مـحمـد يـوي يـي نـي زـونا

حـ رـ رـ أـغا يـي دـبو

حـ رـ رـ صـفو إـطـو إـطـو نـدي وـري كـما وـمـبـاندونـوتا

حـ رـ رـ أـديـطـو أـقي صـفو كـندونـو وـيو أـفيـالو

حـ رـ رـ وـي إـطـو زـي صـفو يـما لـي يـي يـي يـي زـوما لـي يـمـالـيـنا يـويـنا

حـ رـ رـ إـغـنا طـو وـغـن يـي طـو وـيـمـونا كـيـنا يـي إـوـغا وـدا مـزو

حـ رـ رـ صـفو دـغـيـي مـنا يـا جـامـع عـز وـجـل دـغـيـي مـنا

حـ رـ رـ كن فيكون دغنيي منا¹¹

المعنى:

محمد ماء للظمان ودواء للأمراض

وهو ماء زلال يشفي العطشان

وهو ابن أمنة

الله يهدي من يشاء

لكن النجاة قريبة إلى من سارع إلى الله

نحن في الدنيا كمن كان في السوق

ليشتر كل منا ما يريد

سنلتقي في يوم الجزاء

من يتجر تجارة حسنة يكن الله معه
وسيوفي الله أجره كاملا

ومن يتجر تجارة سيئة يكن الله معه
وسيوفي الله أجره كاملا

لا ترضوا للشيطان يتغلب عليكم

في الجنة نعيم لكنه عزيز المنال
الآخرة بعيدة المدى
طريق الجنة سوي، ولكنه عسير للمتعطل

لا تضجعوا قبل أن تصلوا العشاء
يا من يضطجع قبل صلاة العشاء هل تدري آخر نومك؟

سيحمل كل واحد منا يوما
ويمشي كل واحد قهرا
ويقصد به إلى بيت لا محالة منه

التجارة مع الله تجارة حسنة
وهي تجارة رابحة

سواء عند الله من حكم في السر ومن حكم في الجهر
إذ لا يخفى عليه السر والجهر

النبي محمد دواء للأمراض
وهو دواء لا منتهى لشفائه.
وهو نبي لا ينطق عن الهوى

يا الله أنت إلها
يا من له عباد كثيرون
ولم يغفل عن أحد منهم

لا إله إلا الله
ولا يمسه الضر أبدا

أنت الله لا شبيه لك
لم نرلك نظيرا في الأمام ولا في الوراء

الكلام الذي أدى إلى القتال بالأمس
إن قيل مثله اليوم سيؤدي إلى القتال

كن معنا يا جامع
كن معنا عز وجل
وكن معنا كن فيكون

الملاحم الإسلامية في أفكار القصيدة:

تنحصر أفكار القصيدة في النقاط الآتية التي تتعلق بشئون المسلمين في هذه
وأخراهم، يدعواهم فيها الشاعر إلى الحذر من الدنيا والشيطان وغرورهما، والعمل

الآخرة الباقية واتباع هدى الله ورسوله، والابتعاد عن القول الباطل والعمل به، وجاء فيها مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر شمائله ومكانته، ومن تلك الأفكار ما يلي:

- 1- إن الهداية فضل من الله
- 2- الترغيب في الإسراع إلى الأعمال الصالحة والترهيب من السيئات.
- 3- الحذر من اتباع النفس والشيطان.
- 4- التزود لدار الآخرة بالأعمال الصالحة.
- 5- اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- 6- ذكر شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم.

الخصائص الفنية في الشعر النبوي الإسلامي

إن مسألة الفن والإبداع في الأدب الإسلامي ليست مسألة ثانوية، يُعفى الأديب الإسلامي عنها، بل يهتم هذا الأدب بالقيم الجمالية اهتمامه بالمضمون الإسلامي، ولا يقبل أن يدخل فيه نص لا تتحقق فيه الفنية. ويؤيد هذا الموقف الدكتور شلتاغ عبود بأن الأدب الإسلامي ليس مجرد التعبير عن الحق والصدق والوعظ، بل يجب إبراز هذا الحق والصدق في اللفظ الجميل والشكل الفني المؤثر، وإلا لم يعد هذا الحق المعروض بغير شكله الفني في دائرة الأدب الإسلامي وإنما يعد فكراً محضاً.¹²

وعليه فالشعر الإسلامي يعتبر إبداعاً في الشكل والمضمون، فالمضمون لا بد أن يصحبه قالب فني بديع، يتغنى بقيم الإسلام وتصوراته عن طريق الكلمة المبدعة الموحية. إذا فروع التصوير وجمال الشكل ضرورة فيه.¹³ وتلك الحقيقة التي لاحظنا في الشعر النبوي الإسلامي أنه توفر فيه القيم الجمالية والفنية إضافة إلى ما سماه من المضمون الإسلامي.

أ- مضامين الشعر النبوي الإسلامي.

يتميز مضامين الشعر النبوي الإسلامي بالتصور الإسلامي والأفكار الإسلامية إذا الغاية والدافع إلى هذا الشعر هو تبليغ الدعوة الإسلامية وإصلاح المجتمع النبوي وتطهيره من الرذائل والشذوذ الخلقي. فشعراء هذا الفن ملتزمون بالإسلام وأخلاقيته في بث

الشعور والتأثير في نفوس القوم من خلال أشعارهم. فأغراض شعراء هذا الفن مركزة في الغالب على القضايا الدينية.

فقصيدة "نميتاً" للشيخ عبد الرحمن تتركز على دعوة القوم إلى طاعة الله ورسوله. حيث أكد الشاعر أن طاعة الله توجب دخول الجنة ومعصيته توجب دخول النار. ثم وقف موضحاً ما يجب اجتنابه من الأموال الباطلة التي شاعت المعاملة بها وأكلها في المجتمع النوبي، كأخذ الأموال عند عقد النكاح أو عند العقيقة أو تجهيز الميت وجنازته. كما زجر عن تفضيل إحدى الزوجات على غيرها مثلما زجر في ذلك سبحانه وتعالى في قوله: "ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة..." النساء:130، وغير ذلك من العادات التي نهى عنها الشارع.

ومَن شَتَكَفَا في قصيدته المعنونة بلا كاذب يدعو قومه إلى التزود للآخرة بالأعمال الصالحة وينهاهم عن الاشتغال بالدنيا الفانية، ويحثهم على الاعتصام بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، كما نراه يزجر عن الخوض في حرمة الناس وتتبع عيوبهم. وثار ثورة إسلامية على من يذنب ويضحك مؤكداً أنه سيدخل النار باكياً، وأمر بخشية الله في جميع الأحوال واتخاذ العدة للموت الذي يأتي بغتة، وأن كل نفس ذائقة الموت، وهو منطلق في هذه المعاني من التصور الإسلامي.

وعند وقوفنا مع الشاعر الحاج إدريس في قصيدته في الوعظ نجده يتغنى بمكة الرسول صلى الله عليه وسلم وشماله، ويحذر من الدنيا وأشغالها وأنها دار عمل وكسب والآخرة دار جزاء، وأن الله سيوفي عباده أجورهم يوم القيامة، وأن من عمل صالحاً فلنفسه ومن عمل سيئاً فعليها، ونهى عن اتباع الهوى والشيطان، وعن الحوض الكلام الذي يؤدي إلى القتال معبراً عن ذلك كله من خلال ثقافته الإسلامية.

التأثر بالقرآن الكريم:

نلاحظ في القصائد السابقة تأثر الشعراء بمعاني القرآن الكريم وصوره. وهو ينتظر من كل أديب إسلامي، إذ كان القرآن الكريم دستوراً ومحل إعجابه. وهو مكوناته الثقافية والأدبية.

ومع كون جميع معاني القصائد السابقة من القرآن الكريم فلا بأس أن نشير إلى بعض الأبيات التي تتجلى فيها تلك المعاني، وذلك مثال قول الشيخ عبد الرحمن في المنع عن تفضيل إحدى الزوجات على غيرها يرد إلى قوله تعالى: "ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل" النساء: 129.

ومثال آخر من قصيدة لا كاذب لِنُ شُنْكَافًا قوله في توكل على الله في جميع

المطالب:

توكل على الله في مطلوبك

سيعطيك الله من حيث لا تدري

فهو متأثر بقوله تعالى: "ومن يتوكل على الله فهو حسبه" الطلاق: 3 وغيرها من

الآيات.

وقول الشاعر الحاج إدريس:

من يتجر تجارة حسنة يكن الله معه

وسيوفي الله أجره كاملاً

يتأصل معناه من قوله تعالى: "من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له:

"الحديد" وقوله تعالى: "هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله واليوم

الآخر" الصف: 10.

وهكذا تتأصل معاني الشعراء من القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه

وسلم.

ب- استعمال الحرف العربي لقرض الشعر النبوي الإسلامي

نشأ الشعر النبوي الإسلامي مقترباً بالحرف العربي إذ كانت المحاولة الأولى لهذا

الشعر على يد العلماء المثقفين بالثقافة الإسلامية والعربية، وكانت اللغة العربية لديهم

لغة الثقافة والحضارة، كانوا يرسلون بها ويقيدون بها الوثائق التاريخية، فلما جاءتهم

فكرة نظم الشعر الإسلامي في اللغة المحلية لم يجدوا بداً إلا استعمال الحروف العربية

لهذه المهمة.

ج- اقتراض الكلمات العربية في الشعر النبوي الإسلامي
نشأ الشعر النبوي الإسلامي حين نشأه في أحضان الإسلام ورسالته ولكن موضوعاته وأغراضه إسلامية، وكانت ثقافة الشعراء إسلامية عربية، فمهد تلك كلها السبيل لورود الكلمات العربية في هذا الشعر الجديد. وقد ساعد التزام الشعراء بقافية الشعر العربي في إيراد الكلمات العربية واصطلاحاته، حيث نجد في القصائد السابقة الكلمات العربية مثل: الجنة، والنار، والنعيم، والعظيم، والكريم، والكاذب، والقاضي والعافية، وغيرها من المفردات العربية.

د- أوزان الشعر النبوي الإسلامي
تأثر رواد الشعر النبوي الإسلامي بالشعر العربي في بحوره وقوافيه، حيث كان الشعراء ينظمون أشعارهم على شكلة الشعر العربي ويلتزمون بالقافية والروي، إلا أنه يصعب تعيين نوعية البحور التي يستعملونها إلا أن الأبيات ظلت ملتزمة بنظام بيت الشعر العربي، ومتسمة بالتوازن والتساوي في أجزاء الأبيات ما يكسبها الشبه بالشعر العربي. فقصيدة الشيخ عبد الرحمن مبنية على الروي الميعي لكن غير خاضعة لبحر من بحور الشعر العربي. ومن شعراء هذا الفن من كان شعرهم متحرراً من البحر والقافية. وغير مقيد بتفعيلة من التفاعيل المعروفة فهو أشبه ما كان بالشعر الحر أو الشعر المنثور. لكنه شعر لأخيلته وفنه، ومثال ذلك قصيدة الحاج إدريس السابقة، فأجزاء غير متساوية، والأبيات بعضها قصيرة وبعضها طويلة. والشاعر يرتجلها على حسب البناء والتركيب.

الملاحظات البلاغية:

نلاحظ في القصائد السابقة أنواعاً من التصويرات من تشبيه واستعارة والأساليب المعانية ما يبرهن على خصوبة العقل وإرهاق الذوق لدى شعراء الفن، وهو ما يجعل أشعارهم تنتمي إلى الأدب الإسلامي انتماء كلياً بعد صدور أفكارهم من التصور الإسلامي. وفي السطور التالية نجلي بعض مظاهر الجمال والفن في القصائد.

نلمح صورة جميلة في تشبيه الشاعر الحاج إدريس حيث شبه الرسول صلى الله عليه وسلم مرة بالماء الزلال ومرة بالدواء:
 محمد ماء للظمان ودواء للأمراض.
 ويرد التشبيه التمثيلي في تشبيه حياتنا الدنيا والغاية منها من العمل والكسب للأخرة بمن ذهب إلى السوق ليشتري ما يريده وما ينفعه:
 نحن في الدنيا كمن كان في السوق
 ليشتري كل منا ما يريد
 سنلتقي في يوم الجزاء
 وتظهر استعارة تصريحية في قول الشاعر:
 من يتجر تجارة حسنة يكن الله معه.
 فقد شبه العمل الصالح بالتجارة الحسنة بجامع أن كل منهما يأتي بالثمرة الطيبة ويرجع بالخير إلى صاحبه، فحذف المشبه وأقام المشبه به مقامه ادعاءً، فالاستعارة صورة جميلة حية تقرب المعاني إلى الأذهان، وتغذي الوجدان بالمتعة الفنية. كما تلمح استعارة أخرى في قول الشيخ عبد الرحمن:
 يباح التفضيل في "سوق الله" طاعة الله.
 فإضافة السوق إلى الله مجازية، يريد بها طاعة الله، فشبه السعي في طاعة الله بالسوق يرده الناس للبيع والشراء ثم يصدر منه كل بقدر جهده وسعيه، فحذف المشبه وأبقى المشبه به مقامه ادعاءً.
 ونقف على الكناية في قصيدة لا كاذب لمن شئكَافاً في قوله:
 تنظر إلى الرمدة في عين غيرك
 ولم تتفكر أن الجذع في عينك
 فتعبيره بوجود الرمدة في العين أو الجذع في العين كناية عن العيوب الملتصقة بصاحبها.
 ونرى الأسلوب الإنشائي في استعمال الشاعر مَنْ شئكَافاً النداء مع صيغة الأمر في بيته:

العربية في التعبير عن المعاني والأفكار. كما يتسم هذا الفن الشعري بالتصورات البيانية والأساليب المعانية مما أضفى جمالا على النصوص المدروسة. وأخيرا فقد ساعد الشعر النوبي الإسلامي في توسيع فن كتابة اللغات المحلية بالحروف العربية في هذه الديار، وهو ما يعرف في هذه المنطقة بالكتابة العجمية.

الهوامش

- 1- شيخو أحمد سعيد غلادنت، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، المكتبة الإفريقية، مصر، 1993م، ص 27
- 2- يعقوب عبد الله، مظاهر تأثير اللغة العربية في اللغات النيجيرية، ورقة مقدمة في المؤتمر الوطني لجمعية معلمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا بجامعة أوشن 2009م، ص 8
- 3- Alhaji Abdu-Rahman Aboki, Nupe Islamic Verses in Ajami Edition. Transliteration and Manuscripts of Nupeland p. 88 Translation of Islamic Studies
- 4- د. عبد الباسط بدر، مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، الطبعة الأولى، دار المنارة، جدة، 1985م، ص 830 وينظر د. محمد صالح الشنطي، في الأدب الإسلامي قضايا وفنونه ونماذج منه، الطبعة الثانية، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، 1995م، ص 44
- 5- الحاج عبد الرحمن أبوكي، المرجع السابق، ص 86
- 6- مكتبة الحاج عبد الرحمن أبوكي الخاصة.
- 7- الحاج عبد الرحمن أبوكي، المرجع السابق، ص 222
- 8- الحاج عبد الرحمن أبوكي، المرجع نفسه، ص 221
- 9- الحاج عبد الرحمن أبوكي، المرجع نفسه، ص 287
- 10- من مكتبة السيد إدريس محمد الخاصة.
- 11- المرجع نفسه.
- 12- د. شلتاغ عبود، الملاح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، دمشق، 1992م، ص 81
- 13- نصر الدين إبراهيم، مفهوم الشعر في ضوء العقيدة، في مجلة التجديد، إصدار الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، العدد الرابع، 1998م، ص 195